

مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور

أ. محمد الصالح غريسي

جامعة الوادي

ملخص :

الحمد لله العلي الأعلى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، ومن سار على طريقته وبسنته اهتدى.

تعد قضية الابتكار القرآني من القضايا المهمة في الإعجاز القرآني البلاغي، فحاز إبداعها الطاهر ابن عاشور

(1393هـ) - رحمه الله - في تفسيره (التحرير والتنوير)، فقد تناثرت "مبتكرات القرآن" في ثناياه بغزارة وتنوع وشمول، وكانت مظهرا تميز به ذلك التفسير عن سائر التفاسير، واختص بلفظها صاحبها فإذا ذكرت ذكر، ولقد عدت معلما مبتكرا يحسب لصاحبه الذي لم يكن من همه الانشغال به عن أغراض المفسر الرئيسية، إنما هو باب تهيأ له أن يفتحه - مع صعوبته - بما من الله عليه من ذهن وقاد، وحافظت قوية، وغزارة علم، وسعة اطلاع، ومعرفة واسعة بكلام العرب قبل القرآن، وبكلام العلماء في اللغة والبلاغة والإعجاز والتاريخ.

ويعتبر هذا البحث محاولة جادة في استجلاء هذه القضية بأبعادها المختلفة من ضبط مصطلح مبتكرات القرآن وتحديد مفهومه عند ابن عاشور، وبيان أقسامه عنده، وتتبع المبتكرات في تفسيره وتقسيمها إلى مبتكرات في: المفردات - والأساليب والتركييب - التصوير البياني - والتحسين البديع. ثم انتهى البحث إلى نتائج الإجمالية التي كان من أهمها: تقسيم الابتكار عند ابن عاشور إلى قسمين: ابتكار تميز، وابتكار سبق.

Summary:

Thankfully Top Ali, peace and blessings be upon His Messenger Mustafa, and went their own way and Psonth guided.

The issue of Quranic innovation of the important issues in the Quranic miracle rhetorical, Vhaz creativity Tahar Ben Achour(1393) God's mercy in his commentary (liberation and enlightenment), was littered with "innovations Koran" inbuilt in abundance, diversity and inclusion, and was showing marked by that interpretation for other interpretations, and singled Blfezha owner if the reported stated, and I've promised milestone innovative calculated for the owner, who it was not his main concern preoccupation with him for the purposes of the interpreter President, but it is a door ready for him to open it with difficulty, including of God from the mind and led, and a strong portfolio, and the abundance of information, and capacity information, and extensive knowledge of the words of the Arabs before the

Koran, and the words of scientists in the language The rhetoric and miracles and history.

This is a research serious attempt at elucidation of this issue various dimensions of the set term innovations Koran and define his concept when Ben Achour, a statement of its divisions with him, and keep track of innovations in the interpretation and divided into innovations in: vocabulary, methods and composition graphic imaging and optimization Badi. Then search ended at the overall results, which was the most important: the division of innovation when Ben Achour into two categories: innovation excellence, innovation and above.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، بديع السماوات والأرضين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين.

وبعد:

فلا يزال القرآن الكريم المعجزة الخالدة ما تعاقبت السنين، فهو معجز بألفاظه وأساليبه وإشاراته إلى الحقائق العلمية، وإخباره عن الأمور الغيبية المستقبلية؛ ولا تنقضي عجايبه ولا تفنى معانيه، ولقد وفقني الله خلال دراستي لتفسير التحرير والتنوير لعلامته عصره في علم التفسير محمد الطاهر بن عاشور، أن ألاحظ إفراده مبحثاً مهماً مستقلاً في المقدمة العاشرة - من مقدمات تفسيره - عنوانه مبتكرات القرآن، وأيضاً وصفه لمواضع من آيات القرآن، فعزمت على تتبع هذه المواضع، وإذا بها نعت لنكت بلاغية تمثل ملمحاً من ملامح الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وهي ما أبدعه من أفانين التصرف في أساليب الكلام بعد أن كانت جهة مغضولاً عنها من البلاغة أحيائها النظم المعجز. وهذا كله يثير أسئلة مهمة متعلقة بهذا الجانب وهي:

ما مفهوم الابتكار القرآني عند ابن عاشور؟ وما هي أقسامه وصوره عنده؟ وللإجابة على هذه الإشكالات قسمت خطة البحث إلى مبحثين وخاتمة: أما المبحث الأول فقد جاء بعنوان (تعريف الابتكار وتحديد مفهومه عند ابن عاشور)، وأما المبحث الثاني: فعنوانه - (مبتكرات القرآن البلاغية جمع وعرض). في حين لخصت الخاتمة أهم نتائج البحث.

ومن الله التوفيق.

المبحث الأول: تعريف الابتكار وتحديد مفهومه عند ابن عاشور

لم أجد في حدود دائرة المصطلح البلاغي تأصيلاً واضحاً ومستقلاً لمصطلح الابتكار، وإنما ورد مفهومه تحت مصطلحات بلاغية أخرى، أو ورد مصطلحاً لغوياً عاماً، لذلك فإنه لا بد من الوقوف على مادته اللغوية أولاً، ثم الاصطلاح اللغوي العام له توصلنا إلى تحديد مفهوم الابتكار القرآني.

أولاً: المدلول اللغوي:

أما في اللغة: فإن مادة (بكر) تدور على معنى أول الشيء في جميع استعمالاتها.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: " والبكرُ من كلِّ شيء؛ أوله وبقره بكرُ أي؛ قتيبة لم تحمِل"⁽¹⁾. وهذه هي دائرة المعنى اللغوي لتلك المادة، وكل ما ورد في المعجمات اللغوية لا يخرج عن حدود معنى أول الشيء ومقدمه وباديته وفيه معنى السبق⁽²⁾. فالمعنى العام الذي تدخل فيه اشتقاقات مادة (بَكَرَ) هو أول الشيء وبدؤه⁽³⁾ والعبارة التي ذكرها العلماء في هذه المادة: "أن كل من أسرع إلى شيء فقد بكر إليه" عبارة جامعة لوحظ فيها سرعة الفعل مع إدراك الأوليّة من كل شيء، وهذا من أوضح الأدلّة على تفرع هذه المعاني من المعنى الأولي لهذه المادة اللغوية⁽⁴⁾. ومن أحسن من أفصح عنها الراغب الأصفهاني حيث قال: " أصل الكلمة هي البُكَرَة التي هي أول النهار، فاشتق من لفظه لفظ الفعل، فقيل: بَكَرَ فلان بُكُورًا؛ إذا خرج بُكَرَةً، والبُكُورُ: المبالغ في البكرة، وبَكَرَ في حاجته وابتكر وباكراً مَبَاكَرَةً. وتصور منها معنى التعجيل لتقدمها على سائر أوقات النهار فقيل لكل متعجل في أمر: بَكَر.."⁽⁵⁾.

ثانياً: المدلول الاصطلاحي؛ ومبتكرات القرآن اسم مفعول من الابتكار ويمكن تعريفه بأنه هو ما أبدعه أسلوب القرآن من استعمال ألفاظ اللغّة وطرق تراكيبها وألوان نظمها استعمالاً خاصاً استنفذ أقصى طاقاتها الإبداعية ولا عهد لأرباب اللغّة بهذه الكيفيات قبل استعمال القرآن الكريم لها. وهذا لا يعني أنه جاء من خارج أساليب ومعهود نظمها أو بشيء غريب عنها، وإنما هو تفضير لطاقت اللغّة واستغلال كامل لإمكاناتها وسبر لأغوارها، وإن كان نظم القرآن وأسلوبه كله مبتكر متحدى به بشكل عام.

ثالثاً: مبتكرات القرآن عند ابن عاشور

يعد ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير من أبرز من فسّر القرآن الكريم على وفق معطيات نظرية النظر في العصر الحديث بلا منازع، تلك النظرية التي أرسى معالمها عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز على وجه الخصوص ليجد الدارسون بعده السبيل إلى وضع اليد على ملامح الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم قديماً وحديثاً. وقد تطرق ابن عاشور في مقدمة تفسيره إلى أبرز وجوه الإعجاز تحت عنوان في إعجاز القرآن وهو المقدمة العاشرة من مقدمات تفسيره، وقد أشار إلى نكت أغفلها من تقدمه ممن تناضلوا في ميدان الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم مثل الباقلاني والرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني والسكاكي.

فالوجه البلاغي هو الراجح عنده وعند جمهور أهل العلم من وجوه الإعجاز، إذ يقول: "فالتعليل لعجز المتحدّين به بأنه بلوغ القرآن في درجات البلاغة والفضاحة مبلغاً تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله، وهو الذي نعمته ونسیر عليه في هذه المقدمة العاشرة"⁽⁶⁾. وإن ملاك وجوه الإعجاز عنده راجع إلى ثلاث جهات⁽⁷⁾؛

الجهة الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيضة معاني دقيقة ونكتا من أعراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغّة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون في إعجاز القرآن.

وفي معرض تفصيله للجهة الثانية ألمح إلى أن القرآن الكريم قد ابتكر أساليب ونصّ كلامه: "وقد اشتمل القرآن على أنواع أساليب الكلام العربي وابتكر أساليب لم يكونوا يعرفونها وإن لذلك التنوع حكمتين داخليتين في الإعجاز: أولاها ظهور أنه من عند الله؛ إذ قد تعارف الأدباء في كل عصر أن يظهر نبوغ نوابغهم على أساليب مختلصة كل يجيد أسلوبا أو أسلوبين. والثانية أن يكون في ذلك زيادة التحدي للمتحدين به بحيث لا يستطيع أحد أن يقول إن هذا الأسلوب لم تسبق لي معالجته ولو جاءنا بأسلوب آخر لعارضته".

إذا نظرنا إلى الوجه الثاني من وجوه الإعجاز، نجد أن ابن عاشور بنظراته الجديدة أضاف أمرا آخر إلى الإعجاز البياني يتعلق بإبداعات القرآن من أفانين التصرف في فنون القول، مما لا عهد للعرب به، فقد جاء القرآن بكلام مخالف لجنس كلامهم الذي يغلب عليه الشعر والخطابة، "فهو وإن كان من أسلوب النثر أقرب إلى الخطابة، ابتكر للقول أساليب كثيرة بعضها تتنوع بتنوع المقاصد، ومقاصدها بتنوع أسلوب الإنشاء، فيها أفانين كثيرة"⁽⁸⁾.

وتعليل ذلك أن القرآن قد اشتمل على أساليب الكلام المعروفة عند العرب وابتكر أساليب أخرى لا عهد لهم بها مما تسمح به اللغة، أما الحكمة من ذلك كما يرى ابن عاشور فتتمثل في أن الإعجاز يقتضي ذلك لأنه في عرف الأدباء في كل عصر، ظهور النوابغ منهم بأساليب جديدة مختلصة، والتحدي بالقرآن يلزم المخاطبين بأن فيه من الأساليب ما لا عهد لهم به من قبل⁽⁹⁾.

— الابتكار عند ابن عاشور:

عقد ابن عاشور المقدمة العاشرة في إعجاز القرآن، وقال: "وَلَعَلَّكَ تَجِدُ فِي هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ أَصُولًا وَنُكْتًا أَغْفَلَهَا مَنْ تَقَدَّمَوْا مِمَّنْ تَكَلَّمُوا فِي إعْجَازِ الْقُرْآنِ مِثْلَ الْبَاقِلَانِيِّ، وَالرَّمَانِيِّ، وَعَبْدِ الْقَاهِرِ، وَالْحَطَّابِيِّ، وَعَبَّاسِ، وَالسَّكَاكِيِّ، فَكُونُوا مِنْهَا بِالْمُرْصَادِ، وَأَفَلُوا عَنْهَا كَمَا يُفَلِّي عَنِ النَّارِ الرَّمَادُ"⁽¹⁰⁾.

ثم إنه ذكر تحقيقات وتحريرات، أعقبها بمعاقد الإعجاز الثلاثة عنده، التي ضمن الثاني منها عنوانا سماه "مبتكرات القرآن"، وما ذكر فيه هو دعامة للأمثلة من بعده. فمبتكرات القرآن عند ابن عاشور هي: ما سبق به القرآن من خصائص وأساليب وتراكيب ومعان وألفاظ لم تكن عند العرب.

— للابتكار القرآني عند ابن عاشور صورتان:

الصورة الأولى: ما اختلف به أسلوب القرآن من مميزات تميز بها نظمه عن كلام العرب، سواء كان سبقا جديدا من أصله كإتيانه على طريقة متفردة ليست على طريقة الشعر ولا على طريقة نثر العرب وخطبهم، وكأسلوب التقسيم والتسوير أو كان تصرفا بديعا لطرائق وجدت في كلام العرب كحكاية الأحوال والإيجاز والإطناب

والتمثيل. وهذه صورة من صور الإبداع التي عدّها ابن عاشور أحد معاهد الإعجاز القرآني المغفولت من علم البلاغة؛ ولذا سرد ابن عاشور هذه المبتكرات دونما ظنيّة ولا حسابان تحت عنوانيّة خاصّة ضمن سياق هذه الجهرت من الإعجاز. وأطلق على هذه الصورة ابتكار التميز.

الصورة الثانية: ما سبق إليه القرآن من أفاض ومعان وتراكيب وأساليب، ووجه ابن عاشور نظره في هذا النوع إلى أصل المعنى وصورتى اللفظ والتركيب.

فمن مبتكرات القرآن الأسلوبية ما سماه: "الأسلوب الجامع بين مقصدين: مقصد الموعظة، ومقصد التشريع"⁽¹¹⁾، وبيان ذلك أن أسلوبه يشبه خطبهم التي يكون القصد منها الوعظ والتأثير، ولكنه يمنح المتأمل فرصة لاستخراج الأحكام في التشريع والآداب والأخلاق والمقاصد المختلفة عن طريق العقل⁽¹²⁾. وقد صاغ سيد قطب هذا الأسلوب - الذي نبّه إليه ابن عاشور - صياغة أخرى فسماه الأسلوب الجامع بين الغرض الديني والغرض الأدبي⁽¹³⁾، بحيث يعرض القرآن الهداية والتشريع والأغراض الأساسية في قوالب أدبية جميلة يقصد إليها قصدا في قضية الإعجاز وقد عدّ هذا الأسلوب الذي ابتكره القرآن الكريم من الخصائص الأساسية في تعبيره كما أشار إلى ذلك محمد عبد الله دراز أيضا في كتابه النبأ العظيم وعبر عنه بخاصية إقناع العقل وإمتاع العاطفة.

المبحث الثاني: مبتكرات القرآن عرض وتحليل

وبعد أن تحدّث ابن عاشور عن هذه الخاصية العامة عرض لمجموعة من الأساليب المبتكرة في التعبير القرآني، وسيكون من المناسب عرضها بشيء من الشرح والتعليل والمناقشة على النحو الآتي:

1 - أسلوب التفنن: التفنن - كما يرى ابن عاشور أحد الأساليب التي ابتكرها القرآن، وقد عرفه بقوله: "وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتذليل والإتيان بالمتراذفات عند التكرير تجنباً لثقل تكرير الكلم، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعدود من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية فهو في القرآن كثير"⁽¹⁴⁾.

والغاية من مجيء هذا الأسلوب في القرآن بتلك الكثرة هي إبقاء السامعين في نشاط متجدد لسماعه والإقبال عليه، فضلا عن دفعه سامة الإطالة عنهم؛ لأن من أغراض القرآن استكثار أزمان قراءته كما قال تعالى: (إِنْ رِئَكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى) [سورة المزمل، الآية:20] وفي تناسب أقواله وتفنن أغراضه مجلبة للتيسير، وعون على ذلك التكرير⁽¹⁵⁾، (أي التكرير من قراءة القرآن).

والحكم على كلام ابن عاشور هنا سيكون بعد البحث في أسلوب "التفنن" نفسه، والفرق بينه وبين أسلوب الالتفات، لأن كلامه يشير إلى أسلوب جديد يشمل الالتفات وغيره من أساليب أخرى قريبة الصلة به.

فأما أسلوب "التفنن" فلا ذكّر له بهذا اللفظ في كتب البلاغة وإعجاز القرآن - في حدود ما نعلم - ويوجد مصطلح قريب منه في الاشتقاق بعيد عنه في المفهوم يسميه

البلاغيون؛ "الافتنان" ويعودونه من المحسنات البديعية، وهو يعني الإتيان في الكلام الواحد بفتنين مختلفين أو أكثر من فنون القول، كالمدح والهجاء مثلاً⁽¹⁶⁾، وقد جمع الزمخشري بين الافتنان والالتفات في سياق حديثه عن أسلوب الالتفات، فقال في الكشف: "تلك من عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"⁽¹⁷⁾.

لقد جمع ابن عاشور بين مصطلحات كثيرة كالالتفات، والاعتراض، والتذييل وغيرها ليصوغها في أسلوب واحد سماه التفتن، وهدف هذه الأساليب كلها هو التنوع في فنون القول؛ لأن الجمع بين الأساليب المتنوعة من شأنه منح المخاطبين قدراً من النشاط المتجدد لاستيعاب الكلام وقبوله⁽¹⁸⁾.

ويبدو أن أسلوب التفتن هذا قريب الصلة بأسلوب الالتفات، والالتفات في عرف علماء البلاغة العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وقد لُقب "ابن جني" بشجاعة العربية، لأن الشجاعة تقتضي الإقدام، والرجل إذا كان شجاعاً فإنه يرد الموارد الصعبة⁽¹⁹⁾.

وأما الأساليب الأخرى التي ساقها في تعريف "التفتن" مثل: الاعتراض، والتنظير والإتيان بالمترادفات عند التكرير فكل ذلك معدود عند البلاغيين من المحسنات التي تسهم في تحسين المعاني وتزيينها، ولها علاقة مباشرة أيضاً بتلويح الكلام، وتنويع الأسلوب⁽²⁰⁾.

وغاية التفتن تنشيط المخاطبين ودفع سامة الإطالة عنهم، وهي الغاية نفسها التي ذكرها علماء البلاغة السابقين لأسلوب الالتفات، حيث قالوا: إنه يأتي لإيقاظ السامع عن الغفلة، وذلك بنقله من خطاب إلى خطاب آخر، فإن السامع ربما ملّ من أسلوب فيكون نقله إلى أسلوب آخر تنشيطاً له في الاستماع⁽²¹⁾.

ويتضح لنا من الكلام أن أسلوب التفتن - الذي يراه ابن عاشور أحد مبتكرات القرآن - قد ذكره العلماء في أساليب أخرى متنوعة، وأشاروا إلى أن العرب تعرف مثل هذه الأساليب في كلامها، ومعنى ذلك أن ابن عاشور لم يأت بأي جديد في هذا الشأن، ولكن بعد النظر في أقوال أخرى له تبين لنا أنه لم ينكر وجود مثل هذا الأسلوب عند العرب، ولكنه يرى أنه عزيز ونادر في كلامهم⁽²²⁾، فقد قال في سياق حديثه عن التفتن: "كان أكثر أساليب القرآن من الأساليب البديعة العزيز مثلها في شعر العرب، وفي نثر بلغائهم من الخطباء وأصحاب بدائه الأجيوية، فإبداع القرآن لهذا الأسلوب هو من جهة استكثاره منه، وتفتنه في طرائقه"⁽²³⁾، ولعل هذا هو الجديد الذي يقصده ابن عاشور في كلامه، والأمر الآخر الذي يبدو جديراً بالاهتمام عنده هو الجمع بين تلك المصطلحات البلاغية القريبة؛ للحديث عن أسلوب عام من أساليب القرآن، وهو أمر يتوافق مع بعض الدراسات الأسلوبية التي تسعى إلى تيسير مباحث البلاغة، وتطويرها في العصر الحديث⁽²⁴⁾.

والأمثلة التي ساقها ابن عاشور في تفسيره عن التفتن كثيرة ومتنوعة نذكر منها قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاعَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمْ بُكْرًا عَمِي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنْ

السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاقِعِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) [سورة البقرة، الآية: 17-19]؛ قال عن الأسلوب في هذه الآيات: "جاء على طريقة بلغاء العرب في التنفن في التشبيه وهم يتنافسون فيه لا سيما التمثيلي منه، وهي طريقة تدل على تمكن الواصف من التوصيف والتوسع فيه"⁽²⁵⁾، وفي كلامه هذا ما يشير إلى وجود هذا الأسلوب في كلام العرب، ولكن الأسلوب القرآني بلغ حد الإعجاز في جمال التعبير وتنوعه وحسن الألفاظ ورونقها⁽²⁶⁾. ومن طرائق التنفن في القرآن العدول عن تكرير اللفظ والصيغة؛ فيما عدا المقامات التي تقتضي التكرير من تهويل وغيره، ومن ذلك قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) [سورة البقرة، الآية: 58]، وفي سورة الأعراف: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) [سورة الأعراف الآية: 161] فعبّر مرة بإدخالوا، ومرة باسكنوا، وعبّر مرة بواو العطف ومرة بفاء التفرع، وهذا التخالف بين الشئتين يقصد لتلوين المعاني المعادة، حتى لا تخلو إعادتها عن تجدد معنى وتغاير أسلوب⁽²⁷⁾.

وفائدة هذا التغاير لا تتعلق بتغيير الأسلوب فحسب كما يرى ابن عاشور، بل تتعلق أيضًا بدقة أداء المعنى في سياقه من الآيات⁽²⁸⁾.

ومن طرائق التنفن الأخرى مجيء القرآن بأسلوب في الأدب غرض صالح لكل العقول، متفنن في ذكر أغراض الحياة كلها، معط لكل فن ما يليق به من المعاني والألفاظ، فتضمّن المحاورة، والخطابة، والجدل، والأمثال، والقصص والتوصيف⁽²⁹⁾، يضاف إلى ذلك ما ذكره ابن عاشور من ابتكار القرآن الكريم لأسلوب النواصل العجيبة⁽³⁰⁾، وقد كان لذلك كله تأثير عجيب في نفوس المخاطبين.

وهذه النظرات التي يسوقها ابن عاشور لها أهمية كبرى في الدراسات الأسلوبية الحديثة، حيث إن طرائق التنفن العامة مثل الحوار والتمثيل والقصص والتصوير هي التي يعبر عنها حديثًا بطرائق العرض، ولو أن ابن عاشور توسّع في بيانها لكانت له فيها نظرات جديدة بالعناية والاهتمام⁽³¹⁾.

2 - أسلوب يخالف الشعر والخطابة:

يرى ابن عاشور أن للقرآن مبتكرات أسلوبية تميّز بها نظمه عن بقية كلام العرب منها: مخالفة أسلوبه الشعر، ومخالفته للخطابة بعض المخالفة⁽³²⁾، ومعنى ذلك أن نظمه جاء بطريقة جديدة مبتكرة تخالف طرائق العرب في الشعر والخطابة وقد حرص ابن عاشور في سياق رده على بعض المطاعن والشبهات التي أثيرت قديماً بشأن إعجاز القرآن على نفي الشعر عن القرآن، فذكر آراء العلماء القدماء أمثال الباقلاني والسكاكي، ثم قال: "ومعلوم أن القرآن جاء معجزاً بلغاء العرب فكانت تراكيبه ومعانيها بالفن حدًا يقصر عنه كل بليغ من بلغائهم على مبلغ ما تتسع له اللغة العربية فصاحةً وبلاغةً، فإذا كانت نهاية مقتضى الحال في مقام من مقامات الكلام تتطلب لإيضاح حق الفصاحة والبلاغة ألفاظاً وتركيباً ونظماً، فاتفق أن كان لمجموع

حركاتها وسكناتها ما كان جاريا على ميزان الشعر العربي في أعاريضه وضروبه، لم يكن ذلك الكلام معدودا من الشعر لو وقع مثله في كلام عن غير قصد⁽³³⁾.
فأسلوب القرآن مخالف لطرائق العرب في الشعر لا محالة؛ لأن من شروط الشعر القصد إليه، وقد جاء القرآن لنفي الشعر عنه، وعن النبي، ولكن القرآن من جنس النثر المعروف عندهم باسم الخطابة⁽³⁴⁾، ولذلك احترز ابن عاشور في كلامه بقوله: "إنه يخالف الخطابة بعض المخالفة"⁽³⁵⁾، ويمكن عد هذا الأسلوب من طبيعته النص القرآني المتميز في منهجه وطرائق عرضه.

3. أسلوب التقسيم:

إن التقسيم من الأساليب التي ابتكرها القرآن، وهو عند ابن عاشور سنة جديدة في الكلام العربي، وقد كان البلاغيون القدماء يعرفون التقسيم بقولهم: "هو استيلاء المتكلم أقسام الشيء بحيث لا يغادر شيئا، وهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء كقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (سورة فاطر، الآية: 32)⁽³⁶⁾، وهو من المحسنات البديعية التي تُسهَم في تحسين المعنى، ويُفضّل استعماله في الأحوال التي يراد فيها النص الواضح القاطع للاحتتمالات، وفي أحوال التعليم عند المخاطبين الذين يعسر عليهم فهم المعنى، والأحوال التي يقع فيها اللبس، ومن الأمثلة التي ساقها في الاستدلال على ذلك ما لاحظته في فاتحة الكتاب⁽³⁷⁾ فقال: "وإن إشارات كثيرة في القرآن تلتفت الأذهان لذلك ويحضرني الآن من ذلك أمور: أحدها ما رواه مسلم والأربعة عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: (قال الله تعالى: قسمت الصلاة (أي سورة الفاتحة) بيني وبين عبيد نصفين ولعبيد ما سأل. فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبيدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليّ عبيدي. وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبيدي (وقال مرة: فوض إليّ عبيدي) فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبيدي ولعبيد ما سأل، فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال): (هذا لعبيدي ولعبيد ما سألت) (38)؛ ففي هذا الحديث تنبيه على ما في نظم فاتحة الكتاب من خصوصية التقسيم إذ قسم الفاتحة ثلاثا أقسام. وحسن التقسيم من المحسنات البديعية. مع ما تضمنه ذلك التقسيم من محسن التخلص في قوله: (فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبيدي) إذ كان ذلك مزيجا من القسمين الذي قبله والذي بعده"⁽³⁹⁾.

4. أسلوب القصص في حكاية أحوال النعيم والعذاب في الآخرة:

تفرد أسلوب القرآن في حكاية بعض أحوال النعيم والعذاب بطريقة قصصية لا عهد للعرب بها إلا نادرا، ويرى ابن عاشور أن القرآن جاء بالأوصاف في تمثيل أحوال الآخرة مما كان له تأثير عظيم في نفوس المخاطبين⁽⁴⁰⁾.
ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (أسورة الزمر، الآية: 68، 69).

قال ابن عاشور في سياق تفسيره لهذه الآية: "انتقال من إجمال عظمت القدرة يوم القيامة إلى تفصيلها لما فيه تهويل وتمثيل لمجموع الأحوال يومئذ مما يندر الكافر ويبشر المؤمن... فالجملة من عطف القصة على القصة"⁽⁴¹⁾.
ويؤكد الدارسون المحدثون تفرّد القرآن بهذا الأسلوب في عرض المشاهد الكونية، وخاصة مشاهد يوم القيامة بتلك الصورة الأدبية التي تثير المشاعر المختلفة والعواطف المتباينة تحقيقاً في غايته في التأثير وحمل الناس على الاقتناع والاستجابة لهديته على مد العصور وتعاقب الأجيال"⁽⁴²⁾.

5. أسلوب معجز في نقل حوارات الآخرين؛

ومن الأساليب المبتكرة في القرآن أسلوب نقل أقوال الآخرين، حيث يرى ابن عاشور أن هذا الأسلوب معجز وجديد، لأنه يحكي أقوالاً مختلفة فيصوغها بالعربية صياغة تبلغ حد الإعجاز، وهو يصرف فيها تصرفاً يناسب نظمه المعجز والإعجاز الثابت للأقوال المحكية في القرآن هو إعجاز للقرآن لا للأقوال المحكية"⁽⁴³⁾. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتِرَاءِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأُولِينَ اكَتْتَبَهَا فِيهِ تَمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) [سورة الفرقان، الآية: 4، 5]. قال ابن عاشور عن دقة التعبير في الآية، وروعة الإعجاز في نقل كلام الآخرين: "كلمة (اكتتبها) دالت على أنه تكلف أن يكتبها، ومعنى هذا التكلف أنه عليه الصلاة والسلام لما كان أمياً كان إسناد الكتابة إليه إسناداً مجازياً، فيؤول المعنى: أنه سأل من يكتبها عليه... والبكرة والأصيل كناية عن كثرة الممارسة لتلقي الأساطير"⁽⁴⁴⁾.

6. أسلوب التمثيل؛

يقصد ابن عاشور بأسلوب التمثيل تلك الأمثال التي ساقها القرآن لهداية البشر وإقناعهم، وعرفها بقوله: "هي حكاية أحوال مرموز لها بتلك الجملة البليغة التي قيلت فيها، أو قيلت لها"⁽⁴⁵⁾، وقد كان للعرب أمثالهم السائرة التي تداولتها الألسن في الاستعمال، ولكن لما طال عليها الأمد نسيت الأحوال التي وردت فيها، أما القرآن الكريم فقد أبدع في الأمثال أيما إبداع، وجاء فيها بكل جديد، حتى عدت الأمثال عند دارسي الإعجاز من فنونه البليغة، وأساليبه المعجزة"⁽⁴⁶⁾.

ومن أمثلة التمثيل قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ) [سورة إبراهيم، الآية: 18]. قال ابن عاشور: "هذا تمثيل لحال ما عمله المشركون من الخيرات حيث لم ينتفعوا بها يوم القيامة... ومن لطائف هذا التمثيل أن اختير له التشبيه بهيئة الرماد المتجمع؛ لأن الرماد أثر لأفضل أعمال الذين كفروا وأشيعها بينهم، وهو قري الضيف حتى صارت كثرة الرماد كناية في لسانهم عن الكرم"⁽⁴⁷⁾.
والتمثيل عند ابن عاشور منزع جليل من منازع البلاغ لا يبلغ إلى محاسنه غير خاصتهم"⁽⁴⁸⁾، فهو أسلوب معروف. إذن - عند البلاغ وجهابذة البيان فما الجديد الذي جاء به القرآن؟

والجواب: عن ذلك فيما يظهر هو أن التمثيل عند علماء البيان لفظ عام يشمل التشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها، وهذا معروف في كلام العرب، أما الأسلوب الجديد في القرآن الذي يقصده ابن عاشور فهو في تلك الجمل البليغة التي تحكي أحوال معينات بصيغ المثل، بحيث أصبحت حاضرة في أذهان المخاطبين وفي استعمالاتهم، وهذا هو الجانب المعجز في أسلوب القرآن⁽⁴⁹⁾، ومن ذلك قوله تعالى: (حُنْفَاءٌ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّمَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [سورة الحج، الآية: 31]. قال ابن عاشور: "هذا تمثيل بديع؛ لأنه من قبيل التمثيل القابل لتفريق أجزائه إلى تشبيهات"⁽⁵⁰⁾.

7- الإيجاز:

إن الإيجاز في اصطلاح علماء البيان اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل وهو من أعظم قواعد البلاغة، ومن مهمات علومها ومواضعه في القرآن أكثر من أن تحصى⁽⁵¹⁾. وقد قرّر ابن عاشور في أكثر من موضع في تفسيره أن الإيجاز من أبداع الأساليب في كلام العرب، وهو في القرآن أكثر دلالة على المعاني المتنوعة وأدق تعبيراً عن الأغراض الكثيرة، ولعل من أبرز وسائل الإيجاز الحذف، حيث إنك تجده في كثير من تراكيب القرآن، ولكنك لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق، زيادة على جمعه المعاني الكثيرة في الكلام القليل، ويستشهد ابن عاشور على الإيجاز بقول الزمخشري: "الحذف والاختصار هو نهج التنزيل"⁽⁵²⁾.

والإيجاز في القرآن من الأساليب المعجزة، فقد ذكر ابن عاشور أنه تتبع أساليب نظم الكلام في القرآن فوجدها مما لا عهد بمثلها في كلام العرب، فمن ذلك قوله تعالى:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [سورة القصص، الآية: 7] فقد جمع بين أمرين، ونهيين، وبشارتين، ومن ذلك قوله تعالى:

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [سورة البقرة الآية: 179]، مقابلاً أوجز كلام عرف عند العرب وهو: "القتل أنفى للقتل"⁽⁵³⁾.

ومن الإيجاز النادر في كلام بلغاء العرب، وهو كثير في القرآن تلك الجمل الجارية مجرى الأمثال مثل قوله تعالى: (قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرِيكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا) [سورة الإسراء، الآية: 84]، وقوله تعالى:

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُنَّ أَمْرَتُهُمْ لَيُخْرِجَنَّهُنَّ قُلٌّ لَا تُحْمِلُهُنَّ عَنْهُنَّ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [سورة النور، الآية: 53]، وقوله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [سورة فصلت، الآية: 34]، وقد أشار العلماء ودارسوا الإعجاز قديماً إلى هذا النوع البديع من الإعجاز⁽⁵⁴⁾.

ومن الأمثلة على مبتكرات القرآن في المفردات والتراكيب التصوير البياني والتحسين البديعي المنثورة في التحرير والتنوير ما يلي:

- 1 — قال — في تركيب (وأَيَايَ فَارَهُبُونَ) [البقرة:40]؛ "وَأَحْسَبُ أَنْ مِثْلَ هَذَا التَّرْكِيبِ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ وَلَمْ أَذْكَرْ أَنِّي عَثَرْتُ عَلَى مِثْلِهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ" (55).
- 2 — قال — في إطلاق "صبغت" — ؛ وإطلاق اسم الصبغة على المعمودية يُحتمل أن يكون من مبتكرات القرآن ويُحتمل أن يكون نصارى العرب سموا ذلك الغسل صبغاً" (56).
- 3 — قال — في إطلاق "واسع"؛ "وَأَحْسَبُ أَنَّ وَصْفَ اللَّهِ بِصِفَةٍ وَاسِعَةٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ" (57).
- 4 — قال — في تركيب (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) [آل عمران:128]؛ "وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ إِذْ رُكِّبَتْ تَرْكِيبًا وَجِيزًا مَحْذُوفًا مِنْهُ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ وَلَمْ أَظْفُرْ، فِيمَا حَفِظْتُ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ، بِأَنَّهَا كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَلَعَلَّهَا مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ" (58).
- 5 — قال في إطلاق وصف "الجاهلية" — ؛ "وَأَحْسَبُ أَنَّ لُفْظَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ، وَصَفَ بِهِ أَهْلَ الشَّرْكِ تَنْفِيرًا مِنَ الْجَهْلِ، وَتَرْغِيبًا فِي الْعِلْمِ" (59).
- 6 — قال — عن التمثيل — (فَمِثْلُهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ) [الأعراف: 176]؛ "وَهَذَا التَّمْثِيلُ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ..." (60).
- 7 — قال — عن استعارة "خذ العضو" — ؛ "وَأَحْسَبُ اسْتِعَارَةَ الْأَخْذِ لِلْعُرْفِ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ" (61).
- 8 — قال — عن "ذات بينكم" — ؛ "وَأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْتِعْمَالِ (ذَاتِ بَيْنٍ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَأَحْسَبُ أَنَّهَا مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ" (62).
- 9 — قال — عن أسلوب التخلص في آية الأنفال (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمُ بِهِ) [الأنفال:11]؛ "وَجَعَلَ يَنْتَقِلُ مِنْ إِحْدَاهَا إِلَى الْأُخْرَى بِوِاسِطَةِ إِذِ الرَّمَائِثِ، وَهَذَا مِنْ أَبْدَعِ التَّخْلِصِ، وَهُوَ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ فِيمَا أَحْسَبُ" (63).
- 10 — قال — عن تركيب (وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ) — [يوسف:23]؛ "وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا التَّرْكِيبَ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ" (64).
- 11 — قال — في تركيب (فَارْدُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) — [إبراهيم:9]؛ "وَهَذَا التَّرْكِيبُ لَأَعَهْدُ سَبَقَ مِثْلَهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَلَعَلَّهُ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ" (65).
- 12 — قال — في إطلاق "المسجد الأقصى" — ؛ "وَأَحْسَبُ أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ لَهُ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَكُنِ الْعَرَبُ يَصِفُونَهُ بِهَذَا الْوَصْفِ..." (66).
- 13 — قال — عن المحسن البديعي في (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبِخُونَ) — [الأنبياء:33]؛ "وَلَمْ يَذْكَرُوا مِنْهُ شَيْئًا وَقَعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَهُوَ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ" (67).
- 14 — قال — عن التركيب (كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) — [المؤمنون:100]؛ "وَقَوْلُهُ: إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا تَرْكِيبٌ يَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ وَهُوَ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ" (68).
- 15 — قال — عن التركيب (فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) [الفرقان:59]؛ "وَهَذَا يَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ وَلَعَلَّهُ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ نُظِيرَ قَوْلِ الْعَرَبِ: (عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ)" (69).
- 16 — قال — عن التمثيل (كَمِثْلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) — [العنكبوت:41]؛ "وَهُوَ تَمْثِيلٌ بَدِيعٌ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ..." (70).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله وبركته تنزل البركات؛ يتضح مما سبق ما يلي:

— وجوه الإعجاز القرآني عند ابن عاشور تتمثل في ثلاث جهات: **الجهة الأولى:** بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كفاءات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيد أصل وضع اللغة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة. **الجهة الثالثة:** ما أودع فيه من المعاني الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون في إعجاز القرآن.

— الابتكار القرآني عند ابن عاشور هو ما سبق به القرآن من خصائص وأساليب وتراكيب ومعان وألفاظ لم تكن عند العرب.

— للابتكار القرآني عند ابن عاشور صورتان:

الصورة الأولى: ما اختص به أسلوب القرآن من مميزات تميز بها نظمه عن كلام العرب. **الصورة الثانية:** ما سبق إليه القرآن من ألفاظ ومعان وتراكيب وأساليب.

— الابتكار القرآني عند ابن عاشور يكون في المفردات والأساليب والتراكيب والصور البيانية، والمحسنات البديعية.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم. ✓
البرهان في علوم القرآن. (دار المعرفة، بيروت، لبنان، دت) دط، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ✓ البلاغة القرآنية، عبد الرحمن الميداني.
- ✓ التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس 1984م.
- ✓ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم بن إبراهيم بن محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1413 هـ - 1992م.
- ✓ صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث - القاهرة، ط1، 1407 هـ - 1987م.
- ✓ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الفكر - بيروت - لبنان ط1، 1421 هـ - 2000م.
- ✓ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، دار الكتب العلمية، 1400 هـ - 1980م.
- ✓ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1406 هـ - 1986م.
- ✓ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي المصري، دار الصادر بيروت.
- ✓ مبتكرات القرآن عند الطاهر بن عاشور، دراسة بلاغية، هاني بن عبيد الله بن عناية الله الصاعدي، 1434 هـ / 2013م، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- ✓ معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الفكر العربي، تحقيق: علي محمد الجحاوي.
- ✓ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إيران.

- ✓ مفردات القرآن ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان، دت، دط، تحقيق: محمد سيد الكيلاني.
- ✓ النبا العظيم، نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار القلم-الكويت، 1988م.
- هوامش:**

- (1) - كتاب العين، 364/5.
- (2) - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 287/1. أساس البلاغة، الزمخشري، 48. لسان العرب ابن منظور، 144/5 - 146.
- (3) - ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 1/ 287 - 289، مادة (بكر).
- (4) - مبتكرات القرآن عند الطاهرين عاشور (دراسة بلاغية)، ص 44 - 45.
- (5) - مفردات ألفاظ القرآن، ص 140.
- (6) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 104/1.
- (7) - نفس المرجع، 102/1 - 104.
- (8) - نفس المرجع، 1/ 113.
- (9) - نفس المرجع، 1/ 115.
- (10) - نفس المرجع، 101/1 - 102.
- (11) - نفس المرجع، 1/ 115.
- (12) - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 143.
- (13) - النبا العظيم، محمد عبد الله دراز، ص 113 - 114.
- (14) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1/ 116.
- (15) - نفس المرجع، 1/ 116.
- (16) - انظر: البلاغة القرآنية، عبد الرحمن الميداني، 2/ 475.
- (17) - الكشاف، الزمخشري، 1/ 64.
- (18) - قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، بن عيسى بطاهر، ص 182 - 183.
- (19) - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي، 2/ 131.
- (20) - قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، بن عيسى بطاهر، ص 183.
- (21) - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي، 2/ 133.
- (22) - قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، بن عيسى بطاهر، ص 183.
- (23) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1/ 116.
- (24) - قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، بن عيسى بطاهر، ص 183 - 184.
- (25) - التحرير والتنوير ابن عاشور، 1/ 315.
- (26) - قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، بن عيسى بطاهر، ص 184.
- (27) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1/ 118.
- (28) - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 9/ 371. دار المعرفة - بيروت - لبنان، ط2، 1342هـ وقد علق على الموضوعين بقوله: قال ها هنا: **وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطًّا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفَرًا لَكُمْ حَظِيئَاتِكُمْ سَتَرِدُ الْمُحْسِنِينَ فِي الْفَائِدَةِ هَا هُنَا أَمْرٌ: لَأَنَّ السَّكْنَ تَسْتَلْزِمُ الدَّخُولَ وَلَا عَكْسَ، وَتُظْهِرُ فَائِدَةَ اخْتِلَافِ التَّعْبِيرِ فِي الْفَعْلَيْنِ بِمَا يَلِيهِمَا مِنَ الْعَطْفِ عَلَيْهِمَا**"
- (29) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1/ 119.
- (30) - نفس المرجع، 1/ 119.
- (31) - قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، بن عيسى بطاهر، ص 184.
- (32) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1/ 120.
- (33) - نفس المرجع، 23/ 61.
- (34) - قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، بن عيسى بطاهر، ص 184.
- (35) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1/ 120.
- (36) - انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، 3/ 471، وانظر: التحرير والتنوير، 1/ 120.
- (37) - قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، بن عيسى بطاهر، ص 186.
- (38) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة فاتحة في كل ركعة برقم: 764.

- (39) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1 / 108.
- (40) - نفس المرجع، 1 / 120.
- (41) - نفس المرجع، 24 / 64.
- (42) - انظر: المشاهد في القرآن الكريم، حامد صادق قنبي، ص 304.
- (43) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1 / 120 - 121.
- (44) - نفس المرجع، 18 / 325.
- (45) - نفس المرجع، 1 / 121.
- (46) - انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 1 / 486 وما بعدها. دار الفكر - بيروت - لبنان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 3، 1400هـ / 1980م.
- (47) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 13 / 212 - 213.
- (48) - نفس المرجع، 1 / 302.
- (49) - قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، بن عيسى بطاهر، ص 188 - 189.
- (50) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 18 / 254.
- (51) - انظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي، 2 / 88 - 89.
- (52) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1 / 122.
- (53) - نفس المرجع، 1 / 122.
- (54) - انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، 1 / 470 - 471، دار الفكر العربي، تحقيق: علي محمد اليحاوي.
- (55) - نفس المرجع، 1 / 456.
- (56) - نفس المرجع، 1 / 746.
- (57) - نفس المرجع، 3 / 284.
- (58) - نفس المرجع، 4 / 83.
- (59) - نفس المرجع، 4 / 136.
- (60) - نفس المرجع، 9 / 177.
- (61) - نفس المرجع، 9 / 226.
- (62) - نفس المرجع، 9 / 254.
- (63) - نفس المرجع، 9 / 278.
- (64) - نفس المرجع، 12 / 250.
- (65) - نفس المرجع، 13 / 196.
- (66) - نفس المرجع، 15 / 14.
- (67) - نفس المرجع، 17 / 62.
- (68) - نفس المرجع، 18 / 123.
- (69) - نفس المرجع، 19 / 61.
- (70) - نفس المرجع، 20 / 252.